عذاب المعرفة

قصة بقلم علي بدور

الحر شديد . الشمس تتوسط السماء وقد بدت كأنها واقفة ، متعبة من رحلتها الازلية . مئات من الناس ، ينتظرون الباص . الباص يتأخر كثيرا .. عدد الناس يزداد كل دقيقة . الصمت ثقيل وحاد . والانتظار يوتر الاعصاب ويزيدها حساسية .

وقف حامد ينتظر . انه يحمل خبزا وفواكه طازجة .. الفواكه باردة وملمسها يبعث على الطمأنينة في هذا القيظ الملتهب . افكاره ليست محددة ، ولكنه كان يحلم حلما واحدا .. ان يتمدد بعد الغداء لكثرة ما وقف حتى الان. ليس هناك افكار متزاحمة . البلادة تخيم على الفكر بعد تعب من اجل لقمة العيش استنفد ثماني ساعات من يومه .

احس حامد ان الى جواره كانت تقف سيدة وزوجها . كانت تبدو عليهما بشائر الفرح . ان لشهر العسل نكهة خاصة لا تختفي ، تظهر على وجوه الازواج وعلى حركاتهم ونظراتهم . انه الشوق الملح للمجهول الذي كان سرابا .. فاخذ يتبدى شيئا فشيئا، مرة حلوا ومرة مؤلما .. ولكن السعادة الحقيقية مجبولة بملح وسكر .

كانت الزوجة توشك ان تحيط زوجها بنظراتها وتخفيه عن الاخرين. وهي مثال المرأة التي تنصرف لزوجها في الشهر الاول ذلك الانصراف الذي يأخذ بالفتور شهرا بعد شهر .. حتى تحس به ذات يوم وبوجوده بدافع الاستمرار .

الزوج فرح وسعيد. تبدو عليه بشائر الصحة والمسرة. انه هو الاخر يحمل اغراضا .. وكان يبتسم لزوجته بين الفترة والفترة وهي تخفيه وتشده وتجذبه اليها بعنف ، تلاطفه وتشعره بوجودها كله ، من خلال نظراتها التي كانت تريد ان تحتويه بكليته فلا تظهر منه شيئا ..

ان حامد عرف الزوجة . ولكن الزوج لا يعرفه . ان الزوج كما يبدو ، شاب لطيف انيس ، ولكنه لا يعرفه . وفيما كان حامد يفكر في الزوجة وكيف تزوجت . كان لا يزال يفكر في الزوج .. وفي موضوع اخر .. الدنيا حر ، والفكر متعب ، والناس في ازدياد .. ولكن لا بأس .. كل ذلك هين بسيط ..

تحامل حامد على نفسه بعض الشيء .. واخذ يفكر قليلا في موضوع كان يشغله بعض الايام فلا يدع له فرصة للنوم او العمل .. ثم كان ينساه اسابيع او شهورا الى ان يعود اليه فجأة فلا يستطيع منه فكاكا .

ان حامد كلما فكر في فتاة احلامه ووجدها في فتاة معينة واخذ يحلم بايام حلوة في صحبتها ، زوجة وفية ، كانت لا تلبث في افكاره واحلامه طويلا .. انه يفقدها انها تذهب من طريقه .. علها تمل الانتظار ريثما تساعده ظروفه ويستطيع بناء عالمه الخاص .

***

الهاتف يرن .. وحامد مشغول بمفاتن الربيع الجميل والطبيعة الساحرة المعبرة ، الهاتف لا يزال يرن .. وحامد يسعى اليه . لقد كانت فتاة ذات صوت ناعم بريء .. احس وهو يحدثها انه يتحدث مع فتاة تخاطب لاول مرة في حياتها انسانا لا تعرفه عن طريق الهاتف.. لقد اوحى له صوتها بالطمأنينة والهدوء .. واحس احساسا عفويا انه لقي الفتاة التي كان ينتظرها من زمان بعيد. ان الحديث بسيط.. يحدث مثله في كل يوم مع الاخرين.. ولكن التجربة الشخصية ما دامت تعكس واقعا يخص حامد وحده فانها تفقد جديرة بالمرافبة والتدقيق .

وتوالت الاحاديث .. كان حامد يقضي اوقاتا هنيئة وهو يحدث فتاته التي لم يعرفها بعد .. الى ان عرفها ذات يوم .. رآها كلها .. وليس صوتها وحده .. ولكنه رغم رؤيته اياها فانه لا يزال يجهل اسمها .. لقد عرف من حديث لها انها رأت له صورة معلقة فاحبت ان تحدث صاحب الصورة .. وعندما رآها احس بشيء اسمه الحب يخفق في قلبه .. لقد كانت ذات جمال بسيط هادىء ولكنه عميق ومعبر .

***

لا تزال سميرة تخفي زوجها في نظرات عينيها .. دون ان تحدق فيما حولها .. لعلها لم تر احدا تعرفه حولها .. ولكنها لا تريد ان تنظر في وجه غير وجه زوجها. انها واقعية رغم انها خيالية وعاطفية .. ما لها وللماضي او المستقبل .. ان حاضرها مشع بالسعادة ، قوي التأثير في نفسها كل نهار .. وكل ليلة .. يعطيها الى ان ترضى .. ويعدها بالاماني ثم يحقق امانيها كلها .. انها لا تحس باحد غير زوجها .. ليس مهما ان تأخر الباص .. انها ما دامت معه .. فليس هناك عائق يحول دون استمتاعها بوجوده معها .

***

في الليالي الصيفية تهب انسام عليلة مرطبة باضواء النجوم ، سابحة في شعاع القمر ، خفيفة مثل وقع كلمة ناعمة تساقط في بحيرة الروح .. ويزيد انسام الصيف رقة ونعومة اذا اقترنت بحديث مع فتاة تمثل في حياة شاب دور زوجة المستقبل .

دأبت فتاة حامد على احاديثها الماتعة التي كانت تبثها عبر الهاتف لحامد وتناجيه بها ، احاديث صميمية تتصل بمستقبل مشترك..وكان يزيد متعة حامد وفتاته عندما يلتقيان ولو صدفة ويتحدثان . وكان لكفها الناعمة وبشرتها الصافية وعينيها المعبرتين اللتين كانتا تحتويان حامد بنظراتهما ما يبعث في نفسه حماسة ليوم قريب كان ولا يزال يحلم به .

***

اخذ حامد يتأمل سميرة وزوجها بدقة وامعان شديدين .. ان يد سميرة ناعمة ورقيقة .. وخمن حامد « ان سميرة تسعى جهدها كل يوم لمرضاة زوجها » ولكن ما علاقته بذلك كله ؟ . كانت سميرة وهي تنتظر الباص مع زوجها لا تزال تخفيه في عينيها .. فلا يعود حامد يرى منه شيئا .. سوى هيكل رجل يضحك .. ويتحدث .. ولكن من هو ؟ .

احس حامد لاول مرة شعورا غريبا .. لم يصدق نفسه اول الامر انه يمكن ان يعتريه مثل هذا الشعور .. لقد احس ان زوج سميرة غريب عنه وعن زوجته .. انه يريد ان يسأله وان يحدثه ولكن كيف ؟. لقد ضاع الزوج في نظرات سميرة ولم يعد من ضياعه حتى الان .. هل يصدق حامد انه كان مثله يحس بلذة ماتعة عندما كان يختفي في ضوء

عينيها .. عيني حبيبته هو ؟ . طبعا .. ان حبيبته قد تـــزوجت وقد عرفت رجلا جديدا .. ولكن ماذا يهم ذلك . ان حامد رجـــل موضوعي مجرد لا يحكم على الاشياء حسب اهوائه .. لقد مر هـــو بتجارب كثيرة ، واحب فيها بقوة وشغف .. وكان ينقبل تقطع اواصر العلاقات الانسانية وتلاشيها بروح رياضية لا تعرف الحقد والانتقام .. ولكنه في بعض المرات كان يضعف .. ويستسلم لافكاره وعواطفه في وقت معا .. ويأخذ بالتفكير في تلك التي كانت ذات يوم جد خجولة تقطر رقة .. وانوثة .. وتفيض حلاوة ، من صدى ضحكاتها وابتساماتها في الهاتف وفي اللقاءات العديدة ، كل اماني الانسان عندما يجسد انسانا يحبه .

كان حامد يفكر وهو ينتظر الباص .. : « ترى ما هو شعـــور سميرة في هذه اللحظة بالذات عندما تلقى في وقت واحد ، زوجها الذي تخفيه في ضوء عينيها والى جانبه ذلك الانسان الذي كانت هي اول من حدثه بالهاتف عصر ذلك اليوم الذي لا ينسى) »

ان حامد وهو يتساءل .. لا يستطيع ان يحدق في وجه سميرة ، ذلك الوجه الغريب الذي لم يتحول عن وجه الزوج لحظة .. لقد كان كالقطار الذي يخشى الخروج عن الخط .. فكر حامد : « ان سميـــرة سوف تخرج عن الخط اذا تحولت عن وجه زوجها لحظة واحدة .. وقد لا تستطيع بعد ذلك اخفاء وجه زوجها وحده في ضوء عينيها » .

تطلع حامد بصمت ثقيل بوجه الزوج ومرارة الخيبة من الانسان ومن جدوى كل علاقة انسانية كان يقيسها مع من عرفهن ، تبعث فـــي نفسه اصداء مؤلمة كانت تشتعل نارا في روحه لا تنطفىء ابدا ..

ان وجه الزوج ، وجه هادىء ضحوك احيانا ، باسم احيانا ،ولكنه خال تماما من مثل تلك الافكار التي ترافق انسانا عرف في حياته اكثر من مرة وود لو يستريح .ان الزوج لا يعرف .. وليس مقدرا لـــه ان يعرف .. انها هي لا تعرف اذا كان زوجها قد حدث غيرها ذات يوم .. وهي تقف على مقربة منه الان تنظر اليه وحده .. دون ان تفكر مثـــل هذه الافكار المتعبة .

ان حامد وحده يعرف كل شيء .. ولكن الزوج يبدو هادئـــا قريرا لانه لا يعرف . ان المعرفة على تنوعها ، تورث التعب والمسؤولية. وحامد الان لانه كان يعرف .. يتعذب . من قال انه غير مهتم ؟ . انه في اعماقه يحترق .. ويحاول ان يخفي دخانه عن عيني سميرة لئـــلا تزداد ابتساما وتطلعا في عيني زوجها .. ان حامد ليس مهتما بـــان سميرة اليوم ذات زوج .. بل لانه كان يريد لو اقتصرت هموم معرفته بالاخرين عند سميرة .. وتزوجها .. لقد كانت يدها ناعمة وبشرتهـــا بيضاء .. وكان يحلم بان يمشي على شعر عينيه حتى يلتقي بضوء عينيها ..

لقد اعجب حامد للحظات بسلوك سميرة .. لقد تزوجت وخلفت عالما قديما خلفها . وتساءل : لعلها تغيرت من الداخل .. فملأ حياتها الخاصة ذلك الزوج الجديد .. ولم يعد لمن عرفها اية علاقة بحياتها . انها من الخارج لم تتغير ..وقد يكون تغيرها كله قد تم في الداخـــل هادئا مستمرا ثابتا ..

***

اقبل الباص بعد طول انتظار .. الزحام رغم شدته ، اخذ يتلاشى .. سميرة وزوجها يسعيان الى الباص .. حامد يحاول الحصول على مقعد ومعه امتعته وهموم معرفته بالاخرين .

تابع الباص رحلته .. وفيه ثلاثة قد عرف بعضهم بعضا بمعرفة متينة . فكر حامد : سوف نصل بعد قليل .. سنفترق .. ستذهـــب سميرة في صحبة زوجها وسيذهب وحده بعد ذلك .. سيعود وحيـــدا كما كان وتساءل « لعل الانسان وهو يسعد بافراح المعرفة ينســـى عذابها » وابتسم حامد والباص يتابع سيره .. ان الثمن الذي يدفعه الانسان لقاء معرفته بالاخرين ، هو معيار الحياة الحقيقية التي تعـاش بعمق واصالة .

حلب — علي بدور

الذوبة السنابل الخضر

من سبع سنين
والعاشق يطرق باب الشمس
فالعشق لخوخ
وطريق العاشق يا عمري لا بد يطول
والعشق اليمن ود يبوخ
فغرام الفتيان جموخ
والسبع بحار
باعدن سفين العاشق عن امن الدار
والسبع بحار ..
تطويها في كل مساء سفن القرصان
قرصان عملاق اعمى
ومغامرة ان تبحر ليلا سفن العشاق
وسفين العاشق يحمل نجمه
يحلم ان يزرعها ذات صباح في باب الشمس
لو فتحت له ..
والليل يدوس دروب الحب
والسبع سنين
سنين الحزن
مرت سودا .. وعجافا .. وبغير ربيع
بسنابل لا تعطي قمحا ..
موتى .. ..
يا بؤسا لحقول الاحزان
سبعا لم تنبت من زمن فرحا
والعاشق خلف السنوات العاقر
بسفين يحمل نجمه
ما زال يدق بباب الشمس

القاهرة — **علي البطل**
دار العلوم